

تفعيل مبدأ الشفقة على النفس عند الإمام النورسي: دراسة تحليلية

رضوان جمال يوسف الأطرش*

*قسم دراسات القرآن والسنة – كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية – الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.

*Department of Qur'an and Sunnah Studies - Abdul Hamid Abu Sulaiman College of Revealed Knowledge and Human Sciences - International Islamic University Malaysia.

E-mail:

radwan@iiu.edu.my

Orcid:

000-0003-4603-4997

Received: November 10, 2024

Accepted: December 27, 2024

Published: January 31, 2025

Citation:

Elatrash, Radwan, "Activating the Principle of Self-Compassion According to Imam Nursi: An Analytical Study", Istanbul, The Journal of Risale-i Nur Studies 8:1 (2025),49-64

المستخلص

يقوم هذا البحث بتسليط الضوء على مسألة تفعيل مبدأ الشفقة على النفس استناداً إلى تعاليم الإمام الكبير الإمام النورسي رحمه الله، والذي يعتبر الشفقة والحنان أرقى مظاهر الإنسانية، حيث يحذر من أن إهمالها يمكن أن ينجر عنه ألم الحرقة وعذاب نفسي. من جهة أخرى، يؤكد النورسي أن الشفقة على النفس تشكل رابطاً مع الله، وهو الذي يتجلى فيها برحمته وإجابته للدعاء، وذلك بمراعاة أدنى احتياجات الرعية. ويرى أيضاً أن الشفقة على النفس هي أرقى تجسيد للرحمة الإلهية، وتحمل إكسيرا نورانياً، فتكون أسمى من المحبة بكثير. ويشير إلى مثال سيدنا يعقوب في سورة يوسف كدليل على أهمية الشفقة، ودورها في تحقيق الرحمة، ويجد في تفعيل هذا المفهوم أهمية كبيرة في عصر فقدت فيه قيم الرحمة والشفقة، وعاشت البشرية في حالة من الضياع الحضاري. وعلى الرغم من وجود الكثير من الحديث في التراث حول مفهوم الشفقة، إلا أن حديث الإمام النورسي يبرز بتميزه وإبداعه، مما يجعله مساهمة فريدة ومبتكرة لم يسبق لها مثيل. ولتحقيق مقاصد هذا البحث فإنه لا بد من استخدام المنهج الاستقرائي من خلال تتبع جزئيات البحث من بطون رسائل النور للأستاذ العبقري للنورسي، وكذلك الاعتماد على المنهج التحليلي من خلال مناقشة أفكاره حول مفهوم الشفقة وكيف يمكن تفعيلها في الواقع الذي نعيش. وقد توصل البحث إلى نتائج مهمة، نختار منها الآتي: يؤكد الإمام النورسي على أهمية تطبيق خمسة أسس ثابتة في زمن الفوضى والانقسام، وهي الاحترام المتبادل،

والشفقة والرحمة، والابتعاد عن الحرام، والحفاظ على الأمن، ونبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة. وقد أثبت البحث أن الإمام العبقري النورسي يعتقد أن تفعيل مبدأ الشفقة على النفس في حياتنا يقود إلى الربانية والتواصل مع الله الرحيم. ويعتبر أن اسمي "الرحمن الرحيم" يمثلان نورًا عظيمًا يحيط بالكون بأكمله ويمنح كل روح قوة وسطوعًا وينقذها من أعدائها. بالإضافة إلى ذلك، يرى أن الفقر مع الشكر والعجز مع الشفقة على النفس هما الوسيلة الأساسية للوصول إلى هذا النور العظيم.

الكلمات المفتاحية: منهج، الإمام النورسي، تفعيل، مبدأ الشفقة على النفس.

Activating the Principle of Self-Compassion According to Imam Nursi: An Analytical Study

Abstract

This research highlights the understanding of the concept of compassion and the methods of implementing it in our daily lives, based on the teachings of the great scholar, Said Nursi (may Allah have mercy on him). Nursi considered compassion and kindness as the highest manifestations of humanity, warning that neglecting them could result in the pain of emotional distress and psychological torment. He also emphasized that self-compassion forms a connection with God, who manifests His mercy and answers prayers by addressing even the smallest needs of His creation. Nursi viewed self-compassion as the highest embodiment of divine mercy, containing a radiant elixir and surpassing love in its greatness. He referred to the example of Prophet Jacob in Surat Yusuf as evidence of the importance of compassion and its role in achieving divine mercy. He highlighted the significant relevance of activating this concept in an era where values of mercy and compassion have diminished, leaving humanity in a state of civilizational disarray. Although much has been said in Islamic tradition about the concept of compassion, Nursi's discourse stands out for its uniqueness and originality, making it a pioneering and innovative contribution. To achieve the objectives of this study, the inductive method is employed to trace elements of the topic in the Risale-i Nur collection by the brilliant Nursi. Additionally, the analytical method is used to discuss his ideas on compassion and how they can be activated in the context of contemporary reality. The research has reached significant conclusions, including the following: Nursi underscores the importance of applying five fundamental principles during times of chaos and division: mutual respect, compassion and mercy, avoiding prohibitions, maintaining security, rejecting disorder and anarchy, and adhering to obedience. The study has demonstrated that Nursi believed that activating the principle of self-compassion in our lives leads to divine orientation and connection with the Merciful God. He considered the Divine Names Ar-Rahman (The Most Merciful) and Ar-Rahim (The Most Compassionate) as sources of immense light that envelop the entire universe, granting every soul strength and brightness and saving it from its adversaries. Furthermore, he held that poverty coupled with gratitude and weakness alongside self-compassion are the primary means of attaining this great divine light.

Keywords: Methodology, Imam Said Nursi, Activation, Principle of Self-Compassion.

هذا البحث يتناول مفهوم الشفقة على النفس وكيفية تفعيلها في حياتنا اليومية وفقاً لتعاليم الإمام النورسي، رحمه الله، مع اعتبارها أحد السُّبُل المؤدية إلى الله تعالى. ينظر النورسي إلى الشفقة على النفس والحنان على الذات كأرقى جوانب الطبيعة الإنسانية، محذراً من أن الإهمال فيها، قد يؤدي إلى ألم الحرقاة والعذاب النفسي، والفقدان العميق. كما يؤكد الإمام النورسي أن الشفقة بشكل عام تُعتبر وسيلة للوصول إلى الله، حيث تتجلى رحمته واستجابته للدعاء، بالإضافة إلى الاهتمام بالاحتياجات الأساسية لخلقها. (النورسي، 2010:48) كما يرى أن الشفقة على النفس تجسد أعلى تعبير عن الرحمة الإلهية، متألقة بجوهر نوراني يفوق حتى الحب نفسه. (النورسي، 2012:37) وضرب مثلاً على شفقة سيدنا يعقوب وقال إنها أسطع نور يتلمع في أسطع سور القرآن، وهي سورة يوسف، وبها تظهر اسمي «الرحمن الرحيم» وتعلن: أن طريق الشفقة هي طريق الرحمة، وأن ضماد ألم الشفقة ذلك إنما هو: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 64]، كما شدد رحمه الله على أهمية تفعيل الشفقة في عصر تلاشت فيه قيم الرحمة والشفقة، ما أدى إلى أزمة اجتماعية. يقول البرهاري: "واعلم - رحمك الله - أنه ينبغي للعبد أن تصحبه الشفقة أبداً ما صحب الدنيا؛ لأنه لا يدري على ما يموت، وبما يختم له، وعلى ما يلقى الله" (البرهاري، 90) وعلى الرغم من وفرة الحديث عن مفهوم الشفقة في النصوص التراثية، يبرز حديث النورسي بنكهته الفريدة وإبداعه، ممثلاً مساهمة فريدة ومبتكرة لا مثيل لها.

يعتقد الإمام النورسي، بإمعان وتأمل، أنه في هذا العصر العجيب الذي نعيشه، يتعين بالضرورة تطبيق خمسة مبادئ ثابتة، لتحقيق إنقاذ البلاد وإنقاذ الحياة الاجتماعية مع أبنائها من الفوضى والانقسام. تلك المبادئ هي: الاحترام المتبادل، الشفقة والرحمة، الابتعاد عن الحرام، الحفاظ على الأمن، ونبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة. كما أظهر الإمام النورسي أن رسائله تنظر إلى الحياة الاجتماعية بجدية، مُحكمة لهذه الأسس الخمسة، وتُحترمها بإيمان حافظة بذلك على أمن البلاد. من جهة أخرى، فإن تأثير رسائله تتجلى في جعل أكثر من مئة ألف رجل يكونون أعضاء فعالين ومفيدين للمجتمع والوطن على مدى عشرين عاماً، دون أن يتعرض أحد من الناس للأذى أو الإضرار. (النورسي، 2020:407)

من جهة أخرى، يرى الإمام القدير والعلامة الخبير أن تفعيل مبدأ الشفقة في حياتنا يوصل إلى اسم الله الرحيم، وبالتالي فإنه يرى اسمي «الرحمن الرحيم» نوراً عظيماً إلى حدٍ كبير، بحيث يحيط ذلك النور بالكون كله، كما يرى فيهما من القوة والسُّطوع لكل روح، بحيث يحققان لها جميع حاجاتها الأبدية، وينجيانها من أعدائها الذين لا يُحدون (النورسي، 2012:36) ثم قال رحمه الله: فلقد وجدتُ أن أهم وسيلة للوصول إلى هذين النورين العظيمين تكمن في «الفقر مع الشكر» و «العجز مع الشفقة» أي بتعبير آخر: العبودية والافتقار. (النورسي، 2012:36)

تحديد مصطلحات البحث:

الشفقة لغة: جاءت كلمة الشفقة من الفعل شفق وأشفق، والشفقُ: بَقِيَّةُ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَخُمْرَتِهَا فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ الْعَتَمَةِ، يُقَالُ: غَابَ الشَّفَقُ، ومن قوله تعالى: ﴿فَلَا أُفْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ [الانشقاق: 16]، والشَّفَقُ: الشَّفَقَةُ. (الفارابي، 2003:223) والشفقة هي الجنو والعطف والحدب. (الشافعي، 233) وَحَرَّكَ فِيهِ الشَّفَقَةَ: أثار الرَّأفَةَ وَالرَّحْمَةَ فِي قَلْبِهِ. وَالشَّفَقَةُ الإِسْمُ مَنْ

الإشفاق، وأشفق عليه، فَبَوَّ مُشْفِقٌ وَشَفِيقٌ، وَأَشْفَقَ مِنْهُ حَذِرُهُ. وَأَصْلُهُمَا وَاحِدٌ، وَلَا يُقَالُ: شَفَقَ. وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: شَفَقَ وَأَشْفَقَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَأَنْكَرَهُ أَهْلُ اللَّغَةِ (الرازي، 1999:160)

من جهة أخرى، فرق أبو هلال العسكري بين الخشية والشفقة بقوله: إن الشَّفَقَةَ ضرب من الرقة، وُضِعَ القلب ينال الإنسان، وَمِنْ ثَمَّ يُقَالُ لِلْأُمِّ: إِنَّهَا تَشْفِقُ عَلَى وَلَدِهَا، أَيْ تَرَقُّ لَهُ، وَلَيْسَتْ هِيَ مِنَ الْخَشْيَةِ وَالْخَوْفِ فِي شَيْءٍ. وَالشَّاهِدُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: 57]، وَلَوْ كَانَتْ الْخَشْيَةُ هِيَ الشَّفَقَةَ لِمَا حَسَنَ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ، كَمَا لَا يَحْسَنُ أَنْ يَقُولَ: يَخْشُونَ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ، وَمِنْ هَذَا الْأَصْلِ قَوْلُهُمْ تَوَبَّ شَفِقٌ إِذَا كَانَ رَقِيقًا. (العسكري، 241)

الشفقة اصطلاحاً: (Compassion)

الشفقة: بفتح الشين والفاء، صفة نفسية تورث حزناً عند نزول مكروه بالغير، وعملاً على إزالته (قنبي، 1988:264) وعرف الجرجاني والسيوطي الشفقة بأنها: هي صرف الهمة إلى إزالة المكروه عن الناس. (الجرجاني، 2004:209) جاء في لسان العرب: الشَّفَقَةُ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ النَّاصِحُ مِنْ بُلُوغِ النَّصِيحِ خَائِفًا عَلَى الْمُنْصُوحِ (الإفریقی، 1414:180) والشَّفَقَةُ: رِقَّةٌ مِنْ نَصِيحٍ أَوْ حُبٍّ يُوَدِّي إِلَى خَوْفٍ. (الإفریقی، 1414:180)

ومما يؤكد ما سبق، أن الشفقة تحتاج إلى عاطفة، لأن العاطفة هي: الخصلة التي تحمل الإنسان على الشَّفَقَةَ وَالرَّحْمَةَ كَالرَّحْمِ وَنَحْوَهَا. (الربيعي، 1205:115) فالشفقة هي الرَّحْمَةُ والحنان وَالْخَوْفُ من حُلُولِ مَكْرُوهٍ فَالرَّحْمَةُ: نداء لالتماس المغفرة والصفح أو لاستئثار الشفقة، والبر، والبرُّ معناه: الاتِّسَاعُ في الإحسان إلى الناس، وَقَالَ شَيْخُنَا: قَالَ بَعْضُ أَرْبَابِ الْأَشْتِقَاقِ: إِنْ أَصَلَ مَعْنَى الْبِرِّ السَّعَةُ، وَمِنْهُ أُخِذَ الْبِرُّ مُقَابِلَ الْبِحْرِ، ثُمَّ شَاعَ فِي الشَّفَقَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالصِّلَةِ. ومن مرادفاتهما كذلك العطف، يقال: عطف عليه: أي أشفق، قال شيخنا: صَرَّحُوا بِأَنَّ الْعَطْفَ بِمَعْنَى الشَّفَقَةِ مَجَازٌ مِنَ الْعَطْفِ بِمَعْنَى الْإِنْتِغَاءِ ثُمَّ اسْتَعْبِرَ لِلْمَيْلِ وَالشَّفَقَةَ إِذَا عَدِيَّ بَعْلَى، وَإِذَا عُدِيَّ بَعْنٌ كَانَ عَلَى الضَّيْدِ. ودموع التماسيح كِنَايَةٌ عَنِ الشَّفَقَةِ الْكَاذِبَةِ ابْتِغَاءً الْخَدِيعَةَ. كما يقال: قلب بلا شفقة: قاسٍ، عديم الرَّحْمَةَ. (النجار، 1990:487)

خطوات منهجية لتفعيل مبدأ الشفقة الخاصة بالنفس الإنسانية عند الإمام النورسي: تظهر خطوات تفعيل الشفقة على النفس من خلال خطوات مأخوذة من القرآن الكريم والسنة ومن تعاليم الإمام الكبير النورسي رحمه الله، وهذه الخطوات:

الخطوة التفعيلية الأولى: الشفقة على النفس بعدم تركيبها لذاتها: وهي مأخوذة من قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم:32]. وقد تمثل في هذه الفكرة سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين قال للناس بكل تواضع رغم مقامه الرفيع: "لست بخيركم"، (الشاطبي، 2008:144) أسوة حسنة بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم حين قال: «لا تخيروني على موسى». (البخاري، رقم الحديث: 3408) ومختصر هذه الخطوة تأتي من خلال تحول الإنسان عن الانغماس العميق في الذات، والإعجاب والمدح بالنفس، إلى الانغماس في عالم الآخرين، ذلك لأن الإنسان حسب جبلته، وبمقتضى فطرته، محب لنفسه بالذات، بل لا يحب إلا ذاته في المقدمة. فالإنسان العاقل لا يزكي نفسه، بمعنى: يمدح نفسه ويُعجب بنفسه، ويطنَّ أنه كامل، وأتته من الأخيار، بل دائماً الإنسان يتهم نفسه بالتقصير في حق الله تعالى. يقول الإمام النورسي: الإنسان يضحي بكل

شيء من أجل نفسه، ويمدح نفسه مدحاً لا يليق إلا بالمعبود وحده، وينزه شخصه ويرى ساحة نفسه، بل لا يقبل التقصير لنفسه أصلاً، ويدافع عنها دفاعاً قوياً بما يشبه العبادة، حتى كأنه يصرف ما أودعه الله فيه من أجهزة لجمده سبحانه وتقديسه إلى نفسه، فيصيبه وصفُ الآية الكريمة: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: 43] فيعجب بنفسه، ويعتد بها.. فلا بد إذن من تزكيتها؛ فتزكيها في هذه الخطوة وتطهريها هي بعدم تزكيتها. (النورسي، 2010:545)

ومما يقوى الفكرة السابقة، أن الإمام النورسي يؤمن أن الإنسان بشكل طبيعي يميل إلى حب النفس وتمجيدها، وهذا يعكس الجانب الذاتي والانغماس في الذات، وهذا يطمس تفعيل مبدأ الشفقة. ومن ثم، فهو يؤمن كذلك بأن الشفقة تأتي بمثابة تحول عن هذا الانغماس في الذات إلى الانغماس في الآخرين، والعالم من حوله، وهو ما يعبر عنه النورسي في تفسيره للآية الكريمة التي تدعو لعدم تزكية النفس. على سبيل المثال، عندما يتحدث عن عدم تزكية النفس، يربط ذلك بفكرة عدم تقصير للنفس، وعدم الانغماس الكامل فيها، بل التوجه نحو الآخرين والتضحية لأجلهم، وهو ما يعكس مفهوم الشفقة والتعاطف في منهجية النورسي.

وفي هذه الخطوة الذي اقترحها الإمام النورسي نقاط لا بد من فهمها:

1. التزكية الذاتية هي عملية تطهير النفس، وتعزيز شعور الفرد بقيمته ونجاحه، لكن هذا التزكية إن زادت عن حدها قد تؤدي بالنفس إلى غرور وعجب، وهو ما يتعارض مع مفهوم الشفقة على النفس. النفس البشرية، ببطورها، تميل إلى تمجيد الذات وإعطائها مكانة عالية، وهو ما قد يعيق تطوير الشفقة الحقيقية.
2. عندما يعكف الشخص على التمرکز حول نفسه، تصبح قدرة الفرد على التفاعل الإيجابي مع الآخرين محكومة بأنانيته أو تأكيده المفرط لذاته. فالنص القرآني الذي يتحدث عن عدم تزكية النفس الزائفة المؤدية إلى الغرور، كما في الآية: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم: 32] يُظهر ضرورة تقليل الانغماس في الذات، وبالتالي، زيادة الانفتاح على الآخرين والاعتراف بنقصان النفس، والاعتراف بالضعف والاحتياج المستمر إلى الخالق العظيم.
3. في المنهج الذي ارتآه الإمام النورسي، يؤكد رحمه الله أن الشفقة على النفس لا تأتي من مديح الذات المستمر، بل من الاعتراف بتواضعها أمام الله، والتقدير لمساعدة الآخرين. إذ أن هذه الفكرة تُساعد في تهذيب النفس وتوجيهها نحو التسامح مع الذات، وتقبل عيوبها بمرونة دون الإغراق في الذاتية.
4. من معالم المنهج التربوي للنفس عند الإمام النورسي، يرى رحمه الله ضرورة ألا يبالغ الإنسان في تقدير نفسه، بل لا بد من أن نتعامل معها بنوع من الرأفة والرحمة؛ فعندما ينغمس الشخص في حب ذاته بشكل مفرط، فهو يغلق المجال أمام الفهم العميق للاحتياجات الإنسانية الأخرى، مما يمنع التفاعل الصحيح مع الآخرين. فالتزكية التي دعا إليها النورسي هي تزكية متوازنة، تقوم على التأكيد على الدور الذي تلعبه النفس في المجتمع، وفي تفاعلها مع الآخرين، وليس فقط في تفضيل الذات على الآخرين.

5. النورسي يعبر عن هذه الفكرة عندما يدعو إلى التوجه نحو الآخرين، وإظهار الشفقة لهم، بينما يتجنب إغراق النفس في تمديحها الذاتي. هذه التربية تؤسس لحياة متوازنة تقوم على خدمة الآخرين ومساعدتهم، وتعلمهم أن الشفقة لا تتجسد فقط في تجاه الذات، بل في نظرة رحيمة للآخرين.

6. عندما ينغمس الإنسان في نفسه فقط، يتفاقم الشعور بالانفصال عن الآخرين ويزيد من التوترات والانعزال الاجتماعي؛ لكن، إذا تذكر الفرد دائماً أن تزكية النفس تتطلب الابتعاد عن الغرور والعجب، فسوف يكون لديه القدرة على التعاون والعمل من أجل صالح الآخرين. فالنورسي يرى أن المجتمع الذي يعتمد على التعاطف والشفقة بين أفرادها هو مجتمع متناغم وقوي، حيث يضع الجميع مصلحة الآخرين فوق مصالحهم الشخصية، ويعملون معاً نحو بناء مجتمع مزدهر.

الخطوة التفاعلية الثانية: الشفقة على الذات (Self-Kindness) دليل على التوازن النفسي: الشفقة على

الذات هي التعامل مع النفس برفق ولين، خاصة في أوقات الضيق أو الفشل، والنظر إلى الأخطاء والتحديات باعتبارها جزءاً طبيعياً من التجربة الإنسانية، وبعبارة أخرى، هي أن تمنح نفسك حق الرعاية والعناية، وتترك النقد القاسي عند مواجهة التحديات كما تفعل مع شخص عزيز عليك يعاني من صعوبات. استنبط الإمام فخر الدين الرازي من قوله تعالى منتهجاً لنعناية الإنسان بذاته: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُونَنَّ أَقْلًا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 44]، قال رحمه الله: وليس من العقل، أن يشفق الإنسان على غيره، أو أن ينصح غيره، وهمل نفسه، فحذرهم الله تعالى من ذلك (الرازي، 1420:487) وفي قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: 124]، قال القشيري: نطق إبراهيم عليه السلام بمقتضى الشفقة عليهم، فطلب لهم ما أكرم به. وقالها لأبيه وهو مشفق عليه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 43]، يقول القشيري: لم يغادر الخليل شيئاً من الشفقة على أبيه، ولم ينفعه جميل وعظه، ولم تنجع فيه كثرة نصحه فإن من أقصته سوابق التقدير لم تخلصه لواحق التدبير. وكذلك نطق نوح عليه السلام بلسان الشفقة، وقال: ﴿يَا بَنِيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: 42] لم يقل له: ولا تكن من الكافرين، لأن حالته كانت ملتبسة على نوح، إذ كان ابنه بنافقه، فقيل له: يا نوح إنه مع الكافرين.

إن الشيوخ الذين هم نصف البشرية، إنما يتحملون ويصبرون وهم على شفير القبر بـ«الإيمان بالأخرة». ولا يجدون الصبر والسلوان من قرب انطفاء شعله حياتهم العزيزة عليهم، ولا من انغلاق باب دنياهم الحلوة الجميلة في وجوههم إلا في ذلك الإيمان. فهؤلاء الشيوخ الذين عادوا كالأطفال وأصبحوا مرهفي الحس في أرواحهم وطبائعهم، إنما يقابلون ذلك اليأس القاتل الأليم الناشئ من الموت والزوال، ويصبرون عليه بالأمل في الحياة الآخرة. وإلا فلولا هذا الإيمان بالأخرة لشعر هؤلاء الآباء والأهملات -الذين هم أجدر بالشفقة والرفافة والذين هم في أشد الحاجة إلى الاطمئنان والسكينة والحياة الهادئة- ضراماً روحياً، واضطراباً نفسياً، وقلقاً قلبياً، ولضاقت عليهم الدنيا بما رحبت، ولتحولت سجنماً مظلماً رهيباً، ولانقلبت الحياة إلى عذاب أليم قاسي. (النورسي، 2010:103) قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ [الأحقاف: 15]. قال القشيري: رعاية حق الوالد من حيث الاحترام، ورعاية حق الأم من حيث الشفقة والإكرام.

وبالتالي، فإن الإيمان بالأخرة يخفف من القلق النفسي المرتبط بفناء الحياة واقتراب الموت، حيث يشكل الأمل بالحياة الآخرة سنداً نفسياً للشيخ، مما يقيمهم من مشاعر اليأس والضيق التي قد تكون قاتلة. فهم يمثلون خبرة الحياة وقيمها، ولكنهم في الوقت ذاته يحتاجون إلى رعاية خاصة ودعم نفسي واجتماعي. كما أن الإنسان حينما يتقدم عمره، يصبح أكثر حساسية تجاه المشاعر والأحداث، مما يجعل الحاجة إلى الطمأنينة النفسية والسكينة أكثر إلحاحاً؛ فالأطفال يعودون إلى الفطرة في سذاجتهم وبراءتهم، والشيخ يعودون إلى الفطرة في شفافتهم وقربهم الروحي. كما أنهم يكتسبون القدرة على الصبر بسبب إيمانهم؛ فالصبر هنا ليس مجرد تحمل، بل هو قوة نفسية مستمدة من معنى أعمق للحياة يتجاوز الدنيا. ومما يعضد الفكرة، أن العلاقة بين الشيخ والشباب تمثل مظهراً للتكامل الاجتماعي، ومظهراً للتضامن بين الأجيال، فاحترام كبار السن وتقديم الدعم لهم يعكس روح التعاون والتراحم التي تحتاجها المجتمعات لتبقى متماسكة.

وفي هذه الخطوة الذي اقترحها الإمام النورسي نقاط لا بد من فهمها:

1. الشفقة على الذات تساهم في التوازن النفسي للفرد، حيث تساهم في تخفيف القلق والاكتئاب الناتج عن الفشل أو التحديات.
2. ممارسة الشفقة على الذات يساعد في تقوية مرونة الفرد النفسية، من خلال تقبل الأخطاء كجزء طبيعي من التجربة الإنسانية.
3. يساهم هذا في تعزيز الثقة بالنفس ورفع الروح المعنوية، حيث يتعامل الفرد مع نفسه بلطف بدلاً من النقد القاسي.
4. إن تعلم الشفقة على الذات يعزز من قدرة الفرد على التكيف مع الظروف الحياتية المختلفة.
5. إن التربية على الشفقة على الذات يساعد في بناء شخصية مستقلة وقوية، قادرة على التعامل مع الضغوط الحياتية بإيجابية.
6. إن شفقة الفرد لنفسه يدفعه إلى أن يكون أكثر رحمة ولطفاً مع الآخرين، ويعزز من مفهوم التربية الذاتية لتعديل السلوكيات والأفكار بشكل متوازن. فكثير من الآيات القرآنية الكريمة تحذر من مسألة إهمال الذات، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44] فالحذر كل الحذر من إهمال النفس في خضم تقديم النصيحة للآخرين.
7. إن ممارسة الشفقة على الذات يقوي الروابط الاجتماعية، حيث إن الفرد الذي يعامل نفسه بلطف يصبح قادراً على التعامل بلطف مع الآخرين.
8. إن شفقة الذات مبدأ يقلل من الأنانية، ويشجع على التضامن الاجتماعي من خلال دعم الآخرين والتضحية من أجلهم.

9. إن مسألة الشفقة على النفس تعزز التعاون الاجتماعي، ويحفز الأفراد على مساعدة الآخرين بدلاً من الانشغال بمصالحهم الشخصية.

10. الشفقة على الذات تساهم في تعزيز الصحة النفسية، والعلاقات الاجتماعية، وتطوير الإيمان بالله، كما تعزز من توازن الحياة اليومية من خلال العناية بالنفس والتعامل مع الآخرين بلطف ورحمة.

الخطوة التفعيلية الثالثة: من علامات الشفقة على الذات أن ينسب الخير كله لله، وليس إلى النفس؛ وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ [النساء: 79] وذلك: أنَّ ما تقتضيه النفس دائماً أنها تنسب الخير إلى ذاتها، مما يسوقها هذا إلى الفخر والعجب. فعلى المرء في هذه الخطوة ألا يرى من نفسه إلا القصور والنقص والعجز والفقْر، وأن يرى كلَّ محاسنه وكمالاته إحساناً من فطره الجليل، ويتقبلها نعماً منه سبحانه، فيشكر عندئذ بدلَ الفخر، ويحمدُ بدلَ المدح والمباهاة. فتزكية النفس في هذه المرتبة هي في سر هذه الآية الكريمة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9]. وهي أن تعلم بأن كمالها في عدم كمالها، وقدرتها في عجزها، وغناها في فقرها، أي كمال النفس في معرفة عدم كمالها، وقدرتها في عجزها أمام الله، وغناها في فقرها إليه. (النورسي، 2010:560)

يشير النورسي إلى أن النفس البشرية طبيعياً تميل إلى تنسب الخير إليها والتفاخر به، مما يؤدي إلى الغرور والعجب بالذات. ومن ثم، فإن تحقيق الشفقة يتطلب أن يرى الإنسان في نفسه القصور والنقص والعجز، بينما ينظر إلى الخير الذي يأتيه من الله بمنحة وسخاء، وهو ما يعبر عنه النورسي في تفسيره للآية الكريمة التي تشير إلى أن من يزكي نفسه ويحقق تطهيرها هو الناجح حقاً. لذا، يربط النورسي بين فكرته في تزكية النفس وتحقيق الشفقة، حيث يعتبر أن تحقيق الشفقة يتطلب التعرف على ضعف الذات والاعتراف بمنحة الله وسخاءه، وهو ما يقود إلى الشكر والتواضع بدلاً من الفخر والعجب بالذات.

وفي هذه الخطوة الذي اقترحها الإمام النورسي نقاط لا بد من فهمها:

1. ضرورة بناء النفس على التواضع والتوازن النفسي: تعتبر الفكرة التي دعا إليها الإمام النورسي في نسب جميع الخير لله بدلاً من النفس، بمثابة علاج للغرور والعجب بالنفس؛ فعندما ينسب الفرد الفضل لله، فإنه يقلل من مشاعر العظمة الذاتية، مما يساعد في بناء تواضع نفسي ويعزز من الرضا الداخلي. هذا يمكن أن يساهم في الحد من القلق والتوتر الناجمين عن الاعتقاد الزائد في الذات، ويؤدي إلى راحة نفسية أكبر.

2. ضرورة التقليل من الشعور بالذنب أو الفشل: عند مواجهة صعوبات أو أزمات، فإن الاعتراف بأن "الخير من الله" يقلل من الشعور بالذنب أو الإحباط الذي قد ينشأ عندما يُنسب الفشل أو العجز إلى الذات. إذ يشعر الفرد أن عجزه جزء من تجربته الإنسانية، مما يمنحه القدرة على التعايش مع عيوبه وتحفيزه للنمو الشخصي.

3. ضرورة تعزيز مفهوم الشكر والحياة في ظلال الامتنان: إن وجود مثل هذا الفهم يشجع على تعليم الأفراد أن يدركوا بأن جميع النجاحات، والنعم هي من عند الله وحده، مما يعزز مفهوم الشكر والامتنان بدلاً من

الغرور. هذا النوع من التربية يساعد الأطفال والشباب على فهم حدودهم وقدراتهم، ويعلمهم أن الاعتماد على الله والتواضع، هما السمتان الأهم في حياتهم.

4. ضرورة تعزيز السلوكيات الإيجابية بشكل مستمر: إن من الضروري أن يتعلم الأفراد أن التفاخر بالنفس، يؤدي إلى تدمير العلاقات، والتضييق على تطور الشخصية، بينما الاعتراف بالخطأ والعجز والتواضع أمام الله، يفتح أمامهم فرصًا لتطوير النية الطيبة والعمل الصالح، والسلوكيات الإيجابية التي تساهم في تحسين جودة الحياة، مثل التفاؤل وتحمل المسؤولية، ومساعدة الآخرين، وغير ذلك.

5. الحد من الأنانية وتعزيز التعاون: من الناحية الاجتماعية، يشجع هذا الفهم الأفراد على أن يكونوا أقل أنانية، وأن يكونوا أكثر وعيًا بمساهماتهم في المجتمع باعتبارها جزءًا من النعمة التي وهبها الله لهم. عندما يرى الفرد نفسه مجرد أداة في يد الله لتحقيق الخير، فإنه يصبح أقل اهتمامًا بالمنافسة والتفاخر، وأكثر حرصًا على التعاون مع الآخرين وتحقيق المصلحة العامة.

6. تعزيز التضامن الاجتماعي: إذا اعترف الأفراد بنقصهم وضعفهم أمام الله، فإن ذلك يعزز من مشاعر التضامن والرغبة في مساعدة الآخرين؛ وستكون المجتمعات أكثر تماسكًا عندما يدرك أعضاؤها أن الكمال ليس في الذات بل في التواضع والعمل المشترك من أجل رفعة المجتمع.

7. ضرورة ربط هذا الفهم بشكل عميق بتعاليم القرآن الكريم التي تدعو إلى توجيه الفضل كله لله، مثل قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء: 79] تدعو المسلم إلى التواضع عند النجاح، والاعتراف بنعمة الله عليه، مما يعزز من الإيمان بالله ويزيد من الشكر له.

8. ضرورة معرفة النفس بعيوبها وتواضعها أمام الله: إن هذه المعرفة سبيل حقيقي لتزكيتها، فعندما يعترف الشخص بعجزه ويشكر الله على كل ما أنعم به عليه، فإنه يصبح أقرب إلى التقوى والصفاء الروحي. تتوافق هذه الفكرة مع العديد من الآيات القرآنية التي تدعو إلى الشكر لله على نعمه بدلاً من الفخر بالنفس، مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَاهَا﴾ [الشمس: 9].

9. من خلال التقدير العميق للنعم والاعتراف بالعجز أمام الله، يتحقق التوازن النفسي والتربوي والاجتماعي. يعزز هذا من روح التواضع والاعتراف بفضل الله في كل الأمور، مما يساهم في حياة مليئة بالشكر والتقدير بدلاً من الغرور والعجب.

الخطوة التفعيلية الرابعة: من علامات الشفقة على الذات عدم نسيان الإنسان لنفسه، وهذا في نظر الإمام النورسي مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: 19] يقول الإمام النورسي رحمه الله: وذلك: أن الإنسان ينسى نفسه ويغفل عنها، فإذا ما فكر في الموت صرفه إلى غيره، وإذا ما رأى الفناء والزوال دفعه إلى الآخرين، وكأنه لا يعنيه شيء، إذ مقتضى النفس الأمارة أنها تذكر ذاتها في مقام أخذ الأجرة والحظوظ وتلتزم بها بشدة، بينما تناسى

ذاتها في مقام الخدمة والعمل والتكليف. فتركبها وتطهّرها وتربّيها في هذه الخطوة هي العملُ بعكس هذه الحالة، أي عدمُ النسيان في عين النسيان، أي نسيانُ النفس في الحظوظ والأجرة، والتفكيرُ فيها عند الخدمات والموت (النورسي، 2010:559)

وفي هذه الخطوة الذي اقترحها الإمام النورسي نقاط وأبعاد مهمة لا بد من فهمها:

1. يتحدث الإمام النورسي عن "النسيان" كأحد علامات الشفقة على الذات، وهي فكرة ذات بعد نفسي عميق. النسيان هنا لا يتعلق بتناسي الحوادث اليومية البسيطة، بل هو إشارة إلى حالة من التغيّب العقلي عن الذات في اللحظات التي يتطلب فيها الإنسان الوعي الكامل بنفسه، وخاصة في اللحظات الصعبة أو الفاصلة في الحياة مثل الموت أو التحديات الكبرى.
2. يشير الإمام النورسي إلى أن النفس البشرية عادة ما تركز على الحصول على المكافآت والأجر، في حين أنها قد تنسى نفسها في سياقات التضحية والعمل؛ نفس هذا النسيان يساهم في تعزيز الأناية في التعامل مع الذات، فغالباً ما نرى الإنسان يتمسك بحاجاته ورغباته الشخصية ولا يعبر اهتماماً لمآلات الأمور الكبرى مثل الفناء والموت.
3. النفس البشرية كما يراها النورسي تنجذب بطبيعتها نحو التفاخر والتأكيد على الذات عند الحصول على المنفعة أو الحظ، بينما تتناسى هذه الذات في مقامات الخدمة والعطاء؛ فالنورسي يدعو إلى الوعي الكامل بالنفس في أوقات الشدة والخدمة، حيث يجب على الإنسان أن يتذكر فناء نفسه وعجزه، ليشعر بالمسؤولية عن نفسه وعن العالم من حوله.
4. إن التذكر الدائم لذاتك، بما في ذلك في الأوقات الصعبة والمحن، يمكن أن يكون أداة مهمة للتطور النفسي، كما أن هذا التذكر يعزز من الوعي الذاتي الذي يساعد الشخص على تجاوز الأزمات النفسية والفكرية بسلام، ويجعل الشخص أكثر قدرة على التعامل مع تحديات الحياة.
5. إن الحديث عن "نسيان النفس" له دلالات اجتماعية عميقة في سياق الإمام النورسي. فالإمام يرى أن الإنسان إذا استمر في النسيان الجماعي أو تجاهل قضايا المجتمع، والمحيط من حوله، فإنه يسهم في خلق فجوة بين الأفراد والمجتمع؛ ومن هنا، إذا أردنا تحقيق التكامل الاجتماعي فإنه يكون من خلال الانخراط في الاهتمام بالآخرين، والمشاركة في همومهم.

الخطوة التفعيلية الخامسة: عدم توهم النفس بأنها حرة مستقلة بذاتها، وهذه الخطوة مأخوذة من قوله تعالى:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88] (النورسي، 2010:560) ذلك لأنّ النفسَ توهم نفسها حرةً مستقلة بذاتها، لذا تدعى نوعاً من الربوبية، وتضمرُ عصياناً خيال معبودها الحق. فبادراك الحقيقة الآتية ينجو الإنسانُ من ذلك، وهي أنّ كلّ شيءٍ محدّد ذاته، وبمعناه الاسمي: زائل، مفقود، حادث، معدوم. إلا أنه في معناه الحرفي، وبجهة قيامه بدور المرآة العاكسة، لأسماء الصانع الجليل، وباعتبار مهامه ووظائفه: شاهد، مشهود، واجد، موجود. فتركبها في هذه الخطوة هي معرفة أنّ عدمها في وجودها، ووجودها في عدمها، أي إذا رأت ذاتها وأعطت لوجودها وجوداً، فإنها تفرق في ظلمات عدم يسع الكائنات

كلّها. يعني إذا غفلت عن مُوجدِها الحقيقي وهو الله، مغترّةً بوجودها الشخصي، فإنها تجد نفسها وحيدة غريبة في ظلمات الفراق والعدم غير المتناهية، كأنها البراعة في ضيائها الفردي الباهت في ظلمات الليل الهيم. ولكن عندما تترك الأنانية والغرور ترى نفسها حقاً أنها لا شيء بالذات، وإنما هي مرآة تعكس تجليات مُوجدِها الحقيقي، فتظفر بوجود غير متناهٍ وترجع وجود جميع المخلوقات. نعم، من يجد الله فقد وجد كل شيء، فما الموجودات جميعها إلا تجليات أسمائه الحسنى جلّ جلاله (النورسي، 2010:560)

يشير النورسي إلى أن النفس البشرية، غالباً ما تتوهم أنها حرة ومستقلة بذاتها، مما يؤدي إلى الغرور والعجب بالذات والتناسي للحقيقة الأساسية، أن كل شيء بحد ذاته زائل ومعدوم إلا الله. يقترح النورسي أن تزكية النفس تأتي من خلال معرفة الإنسان بأنه لا شيء بالذات وأن وجوده هو مجرد انعكاس لتجليات الله الحقيقي. هذا التوجه يعكس فهماً عميقاً لمبدأ الشفقة، حيث يدفع الإنسان إلى التركيز على الوجود الحقيقي والتواضع أمام الله، وهو ما يشجع على التعاطف مع الآخرين ومساعدتهم دون التمايل في الغرور بالذات. يُظهر هذا التوجه كيف يمكن للفهم العميق للحقيقة أن يثمر في تعزيز الشفقة وتحقيقها في حياة الإنسان وتفعيلها في علاقاته مع الآخرين ومع الله.

ثم إن ذلك الشقي يكون قد ظلم نفسه بنفسه، جازاً عليها وضعاً مظلماً، وأوهاماً ذات ظلمات، حتى كأنه في جحيم، بانعدام بصيرته عن حقائق ساطعة كالنهار وأوضاع جميلة باهرة، فلا هو مستحق للشفقة، ولا له حقّ الشكوى. مثله في هذا مثل رجل وسط أحيائه في موسم الصيف وفي حديقة جميلة بهيجة في وليمة طيبة للأفراح، فلعدم قناعته بها راح يرتشف كؤوس الخمر - أمّ الخبائث- حتى أصبح سكيراً ثملاً، فشرع بالصراخ والعويل، وبدأ بالبكاء، ظاناً نفسه أنه في قلب الشتاء القارس، ومتصوراً أنه جائع وعارٍ وسط وحوشٍ مفترسة. فمثلما أن هذا الرجل لا يستحق الشفقة والرأفة، إذ ظلم نفسه بنفسه متوهماً أصدقاءه وحوشاً، محتقراً لهم.. فكذاك هذا المشؤوم (النورسي، 2010:36)

ومما يمكن الاستفادة منه من خلال هذه الخطوة:

1. إن ميل النفس البشرية لتضخيم ذاتها، والاعتقاد بأنها مستقلة بذاتها، يؤدي إلى ظهور مشاعر الغرور والعجب؛ هذه الحالة النفسية تُدخل الإنسان في دائرة من التوتر الداخلي والقلق. حيث يفقد الاتصال بالحقيقة المطلقة التي تجعل وجوده مرتبطاً بالخالق.
2. عندما يعتقد الإنسان بوجوده المستقل، فإنه يُعرض نفسه لمخاوف كثيرة، منها: أن يتولد لديه شعوراً بالعزلة وانعدام الأمان، مما يؤدي إلى اضطرابات نفسية مثل الاكتئاب والقلق. بالمقابل، إدراك الإنسان لحقيقته كعبد من عباد الله، يخلق شعوراً بالراحة النفسية والاطمئنان. حيث يُدرك أن وجوده مرتبط بمعنى أكبر.
3. يدعو النورسي إلى ضرورة تربية النفس على إدراك حقيقتها، من خلال فهم أنها ليست مستقلة بذاتها، بل تعتمد على الخالق في كل جوانب وجودها. ومن القيم التي يجب أن تربي عليها، قيمة التواضع وعدم الانغماس في الأنانية، وفي نفس الوقت تكون شاكرة لله، ممتنة له على نعمه التي لا تحصى.

الخطوة التفعيلية السادسة: من طرق تفعيل الشفقة على النفس الوعي بلامح شفقة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لأمته: إن الأنبياء والكبار لدى خطابهم لأمتهم ولرعاياهم، ولدى نظرهم إليهم، نظر الأبوة، إنما هو باعتبار مهمة الرسالة وليست باعتبار الشخصية الإنسانية حتى يحرم الزواج منهم. وطبقة ثانية من الناس يفهمون هكذا: إن سيداً عظيماً وأمراً حاكماً ينظر إلى رعاياه نظر الأبوة. أي يشفق عليهم شفقة الوالد. فإن كان ذلك الأمر سلطاناً روحانياً، ظاهراً وباطناً، فرحمته تزداد حينئذ عن شفقة الأب أضعافاً مضاعفة. والأفراد بدورهم ينظرون إليه نظر الوالد، كأنهم أولاد حقيقيون له، وحيث إن نظر الأبوة من الصعوبة انقلابه إلى نظر الزوج، ونظر البنت أيضاً لا يتحول بسهولة إلى نظر الزوجة، لذلك وجد العامة حرجاً في تزوج النبي ﷺ بنات المؤمنين، والقرآن الكريم يصح مفاهيمه قائلاً: إن النبي يشفق عليكم ويعاملكم معاملة الأب، وينظر إليكم باسم الرحمة الإلهية، فأنتم كالبنات بالنسبة للرسالة التي يحملها. ولكن ليس هو أبكم باعتبار الشخصية الإنسانية، لكي يقع الحرج في الأمر: أمر الزواج. وحتى لو خاطبكم بيا أبنائي وأولادي فأنتم لستم أولاده وفق الأحكام الشرعية، فلا تكونون أولاده فعلاً. (النورسي، 2012:35)

توضيح المقاصد الرئيسية من النص السابق:

1. نوعية شفقة النبي ﷺ على أمته: يرى الإمام النورسي أن النبي الكريم محمد ﷺ يظهر شفقة ورأفة تجاه أمته، تشبه شفقة الأب تجاه أبنائه، مما يعزز لدى أتباعه شعوراً بالأمان النفسي والانتماء. هذه الشفقة تُزيل الخوف وتخفف من وطأة التحديات النفسية التي تواجه الأفراد في حياتهم اليومية. يقول القشيري: "إن نبي كل أمة، مثل الوالد لأولاده في الشفقة والنصيحة" (القشيري، 1405:148) ولهذا يُظهر النص السابق كيف أن النبي ﷺ ينظر إلى أمته بنظرة الأبوة والرحمة، ويُظهر لهم الشفقة والرعاية كما يفعل الوالد مع أولاده، هذا يحدث توازناً نفسياً يساعد الأفراد على المضي في حياتهم بثقة. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]. يفيد تقديم الجار والمجرور بالمؤمنين، بهم لا بغيرهم، ومعنى رؤوف، أي بليغ الشفقة. قال أبو عبيدة: الرأفة أرق الرحمة (رحيم). أي: بليغ الرحمة، كما هو اللائق بشريف منصبه، وعظيم خلقه. فالنبي ﷺ لم يقتصر على التعليم النظري، بل جسّد القيم الأخلاقية في أفعاله.

2. توجيه الرسالة وليس الشخصية الإنسانية: يبين النص أن علاقة النبي ﷺ بأمته ليست بسبب العلاقة الجسدية، بل بسبب دوره الرسالي والتوجيهي، حيث يعاملهم بمثل معاملة الأب لأولاده بالنسبة للرسالة التي يحملها، وليس بالنسبة للشخصية الإنسانية. حيث قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، فسفقتته على أمته تُظهر جانباً عملياً لهذه الرحمة الإلهية، مما يعزز إيمان الأتباع برعاية الله لهم من خلال نبيه.

3. تصحيح المفاهيم الخاطئة: يقوم النص بتصحيح المفهوم الخاطئ للعامة حول علاقة النبي ﷺ بأمته، وذلك من خلال توضيح أن النبي ﷺ يشفق على أمته ويعاملهم بمعاملة الأب، ولكن هذا لا يعني أنهم أولاده الفعليون من الناحية الشرعية. فهو ﷺ قد وضع إطاراً واضحاً لعلاقة الرسول بأتباعه، بعيداً عن الأطر الإنسانية الجسدية، مما يزيل الالتباس ويؤسس لعلاقة قائمة على الاحترام والروحانية.

نتائج البحث:

1. أثبت البحث أن الشفقة عند الإمام النورسي ليست مجرد مشاعر بسيطة، بل هي عاطفة عميقة تحمل الإنسان على التعاطف والرحمة تجاه الآخرين، مما يعكس قيمة الرحمة والحنان في الإسلام. كما أظهر البحث أن الشفقة تشمل أيضًا الخوف من وقوع المكروه على الآخرين، وتدعو إلى التسامح والصفح. ويعكس مفهوم البر، الذي يشير إلى السعة في فعل الخير للناس، مدى اتساع معنى الشفقة والإحسان والصلة. ويُظهر استخدام مصطلحات مثل العطف والحنان كمرادف للشفقة، ومعاني أخرى مرتبطة بها، أهمية تلك العاطفة وتعميدها في الفهم النورسي.
2. يعتبر الإمام النورسي أن الشفقة والحنان هما من أكثر صفات الإنسان رقة وجمالًا، وأن غياب التوحيد يمكن أن يحولهما إلى ألم مدمر، وعذاب لا يطاق، وجرح لا يندمل. كما أنه يرى أن الشفقة، كعاطفة موجّهة نحو الله، تتجلى في اسمه الرحيم، وينظر إليها كوصل مباشر إلى الله، ولكنه يلاحظ أنها قد تكون أكثر واقعية وأوسع في تأثيرها، حيث تعبر عن أجمل وأطيب وأحلى جوانب الرحمة الإلهية. فالشفقة الإلهية لا نهاية لها، فهو سبحانه يرى أدنى حاجة لأدنى مخلوق له، فيسعه بكمال الشفقة.
3. إن تفعيل مبدأ الشفقة في حياتنا يمكننا من الوصول إلى جوانب الرحمة في الله، وبالتالي نرى في أسمائه "الرحمن الرحيم" نورًا عظيمًا يمتد إلى أبعد الحدود، هذا النور يحيط بالكون بأسره، معبرًا عن قوته وإشراقه، ويُمكن كل روح من تحقيق حاجاتها الأبدية وحمايتها من أعدائها، الذين لا يُعرف لهم حدٌ.
4. مقصد الشفقة الإلهية عند النورسي يتمثل في إيمانه برحمة الله غير المحدودة والشفقة اللامتناهية، حيث يؤمن بأن الله يرى أدنى حاجة لأدنى مخلوق ويسعفها برحمته ورعايته بطرق لا تعد ولا تحصى.
5. يربط النورسي بين سلوك الحيوانات والنباتات وبين الرحمة والشفقة الإلهية، مؤكدًا على وجود الله الرحيم والكريم والرؤوف الذي يتجلى في خلقه وتفاعلاتهم.
6. يرى الإمام النورسي رحمه الله أن الأشخاص الذين يظلمون أنفسهم يقعون في ذلك نتيجة لاتخاذهم قرارات خاطئة، وتجاهل الحقائق الواضحة. كما يعتبر النورسي أن من يضع نفسه في زاوية مليئة بالأوهام ويتجاهل الجوانب الإيجابية في الحياة، فإنه يظلم نفسه عن عمد ويصر على ذلك بإصرار. ومن خلال تشبيهه بالشخص الذي يتناول الخمر بكثرة، ويتخيل نفسه في بيئة قاسية ومخيفة، يظهر النورسي كيف يبني الشخص الشقي دائرة الظلم والأوهام حوله، وبالتالي فإنه لا يستحق الشفقة أو التعاطف لأنه هو من خلق هذه الظروف المظلمة لنفسه ويحتقر الحقائق ويخلق واقعًا مشوهًا بتصوراته الخاطئة.

وصايا عملية مستنبطة من البحث ونتائجه:

بناءً على النتائج المذكورة، يمكن توجيه وصايا عملية تشمل:

1. تعزيز قيمة الشفقة والحنان: نستنتج مما ورد في أفكار البحث تعزيز قيمة الشفقة والحنان كصفات إنسانية تعكس قيم الرحمة والتعاطف في الإسلام. لذا، يُحث على تطوير هذه الصفات وتجسيدها في تعاملاتنا مع الآخرين.
2. التوحيد وتعزيز ربطها بالشفقة: لا بد من تطوير فهمنا للعلاقة بين الشفقة والحنان والتوحيد، وهذا يتضح من خلال تعزيز هذه الصفات وتوجيهها بشكل صحيح. لذا، يجب أن يكون التوحيد مركزياً في حياتنا، حيث يساعدنا على توجيه شعور الشفقة نحو عباد الله، الذي يمثل مصدر الرحمة الأسى.
3. التعامل مع الحقائق بشكل واقعي: تشجيع على تقدير الحقائق الواضحة وتجنب الانغماس في الأوهام والتصورات السلبية، مما يساهم في منع الانزلاق إلى حالات الظلم الذاتي.
4. التواصل مع الآخرين بالبر والشفقة والرحمة والإحسان: تشجيع على فعل الخير والعطاء للآخرين وتعزيز الصلات الإنسانية الإيجابية، مما يعزز الشفقة والحنان ويعكس قيم الإسلام.
5. تنمية الوعي بأهمية الرحمة والشفقة الإلهية: تعزيز الفهم الصحيح لمفهوم الرحمة الإلهية ودورها في حياة الإنسان، وتوجيه الجهود نحو السعي لتحقيق هذه الصفات في التعامل مع الآخرين وفي بناء مجتمع متراحم ومتفاعل.
6. تحفيز العمل الإصلاحي الذاتي: تشجيع على التفكير النقدي في السلوكيات الذاتية وتحفيز الاستفادة من الأخطاء للتطور والنمو الشخصي، مما يساهم في تجنب الظلم الذاتي وتحقيق التوازن والسعادة الداخلية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، المعجم الوسيط، (د.م: دار الدعوة، د.ط، د.ت).
2. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ).
3. ابن مهران العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى (المتوفى: نحو 395هـ)، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، (القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت).
4. أبو منصور الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهرى، (المتوفى: 370هـ)، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني (د.م: دار الطلائع، د.ط، د.ت).
5. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، (د.م: عالم الكتب، ط1، 1429هـ/2008م).

6. البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: وفاة موسى وذكره بعد، رقم الحديث: 3408.
7. البرهاري، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف، شرح السنة، (د.م: دن، د.ط، د.ت).
8. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (المتوفى: 816هـ)، التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ/1983م).
9. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (د.م: دار الهداية، د.ط، د.ت).
10. سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، تحقيق: زهير شاويش، (بيروت - دمشق: المكتب الإسلامي، ط1، 2002م).
11. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، (القاهرة: مكتبة الآداب، ط1، 1424هـ/2004م).
12. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الاعتصام، تحقيق: ج1= محمد بن عبد الرحمن الشقير، ج2= سعد بن عبد الله آل حميد، ج3= هشام بن إسماعيل الصيني، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط1، 1429هـ/2008م).
13. عبد القادر الحنفي الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (المتوفى: 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (بيروت - صيدا: المكتبة العصرية - المكتبة النموذجية، ط5، 1420هـ/1999م).
14. الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين، (المتوفى: 350هـ)، معجم ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم أنيس، (القاهرة: مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، د.ط، 1424هـ/2003م).
15. فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بخطيب الري (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ).
16. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: 465هـ)، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، د.ت).
17. محمد رواس قلعي - حامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، (د.م: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1408هـ/1988م).
18. النورسي، بديع الزمان سعيد، الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: شركة سوزلر للنشر، ط1، 1414هـ/1993م).
19. النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات، دار الخيرات للنشر، تركيا، اسطنبول، الطبعة الثانية، ٢٠٢٠م.
20. النورسي، بديع الزمان سعيد، المُنْتَوَى العربي النوري، (القاهرة: دار السنابل الذهبية، مركز الترجمة والبحوث العلمية، ط1، 1429هـ/2009م).
21. النورسي، بديع الزمان سعيد، المكتوبات، دار الخيرات للنشر، تركيا، اسطنبول، الطبعة الأولى، 2012م.